
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

الاستعارة
مفهومها بين القدامى والمحدثين

أ. عبد الكريم خالد التميمي
كلية إعداد المعلمين بودّان - جامعة التحدي

المقدّمة :

الاستعارة فنٌّ من فنون البلاغة العربية ، تعدد تناوله بتعدد الدارسين من البلاغيين والنقاد العرب - قدامى ومحدثين - وإذا ما تجاوزنا التراث العربي وجدنا أنّه فنٌّ بلاغي إنساني، وجد في تراث الأمم القديمة؛ لأنّه مبني على التشبيه، الذي هو من أقدم الوسائل البلاغية الإنسانية وجوداً في تراث كلّ الأمم ، وفي هذا البحث نحاول تتبع فنّ الاستعارة من منظور تاريخي فنّي مقارن ، نوضّح من خلاله الآراء المتعددة ، مختلفة أو متّفقة حول هذا الفنّ ، تأكيداً منّا دوره في الأداء والتعبير .

مفهوم الاستعارة عند القدامى :

معنى الاستعارة في المجاز هو معناها في الحقيقة والثاني أصل الأول وأساسه، فالرجل يستعير من الرجل بعض ما ينتفع به، مما عند المعير وليس عند المستعير، ومثل هذا لا يقع إلاّ بين شخصين بينهما تعارف وتعامل ، فتقتضي تلك المعرفة استعارة أحدهما من الآخر، فإذا لم يكن بينهما معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر من أجل الانقطاع، وفقد الصلة والعلاقة [(1)].

الكلام السابق ينطبق على الألفاظ كما ينطبق على الأشخاص من حيث التقارب المعنوي ، فإنّك لا تستعير أحد اللفظيين للآخر إلا بواسطة التعارف المعنوي [(2)]. وأقدم ما وصل إلينا من حديث الاستعارة في الآداب الإنسانية ما ذكره أرسطو في معرض حديثه عن لغة الشعر، وما يستعمل فيه من ضروب الألفاظ

---

(1) انظر علم البيان "دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية " بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط4 ، ص167 .

(2) انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ، 1914م ، ج 1، ص200 .

التي أورد منها الألفاظ المستعارة (المجازية) ، وهي التي نقلت من معانيها الأصلية إلى معانٍ أخر لم توضع لها، وذكر أرسطو أن النقل يتم بين الجنس إلى النوع ، مثل قول الشاعر : " هذه سفينتي قد توقفت" ، فإن الرسو ضرب في الوقوف [1].

ولم يكن غير أرسطو الذي قال في (فن الشعر) : إن أعظم شيء هو القدرة على الاستعارة ، ثم مضى يقول: وهذا وحده لا يمكن أن ينقل إلى الآخر ؛ لأنه علامة العبقرية، ذلك أن صياغة استعارات جديدة يعني القدرة على رؤية التشبيهات[2].

ولعل الجاحظ (ت 200 هـ) أول من تطرق لتعريف الاستعارة في كتابه البيان والتبيين ، وربما يكون تعريفه أقرب إلى المعنى اللغوي منه إلى الأدبي ، فذهب إلى أن الاستعارة هي " تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[3] ، وذلك في تعليقه على قول الشاعر:

يا دارُ قد غيّرها بلاها كأنّها بقلمٍ محاها
وطَفِقتْ سحابةٌ تغشاها تبكي على عراصتها عيناها

يقول: " طفقت بمعنى ظلت، تبكي على عراصتها عيناها ، عيناها هنا السحاب وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة ..."[4].

وكثيراً ما يستعمل الجاحظ في تعليقاته على النصوص عبارات : على التشبيه، وعلى المثل ، وعلى الاشتقاق ، وهو بمعنى الاستعارة أو المجاز بمعناه الذي تندرج تحته الاستعارة ، وليس في ذلك غرابة، فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة، وكلمة التشبيه ترد عند تحليل الاستعارة أو إجرائها ، ثم هي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه[5].

---

(1) علم البيان – بدوي طبانة ، ص167.
(2) في الاستعارة – أ – ريتشاردز ، ترجمة ناصر حلاوي / مقال منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة – ع 9، 1974.
(3) البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5، 1986م ، ج 1 ، ص153.
(4) البيان والتبيين ، ج1 ، ص153 .
(5) انظر علم البيان – عبد العزيز عتيق ، دار النهضة للنشر ، بيروت ، ص167.

وليس من شك في أن تعريف الجاحظ للاستعارة ، تعريف ليس فيه حصر لأنواعها، وقد تبعه في ذلك البلاغيون الأوائل كابن قتيبة (ت 276 هـ) والمبرد (ت 285 هـ) وابن المعتز (ت 296 هـ) وغيرهم[1].

وعرّف ثعلب (ت 219 هـ) الاستعارة بقوله: " وهو أن يستعار لشيء اسم غيره أو معنى سواه"[2].

وتحدث ابن قتيبة (ت 276 هـ) عن الاستعارة ؛ حيث قال: " فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى ، أو مجاوراً لها، أو مشاكلاً"[3].

والاستعارة عند ابن المعتز(ت 296هـ) هي : " استعمال الكلمة لشيء لم يعرف بها في شيء قد عرف بها"[4]، مثل قوله تعالى: ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ﴾ (آل عمران: 7)، ومثل قوله تعالى: ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ (الإسراء:24)، وقوله تعالى: ﴿ واشتعل الرأس شيبا﴾ (مريم: 4) ، فالاستعارة في هذه الآيات" أم الكتاب ، و جناح الذل ، واشتعل".

ونلاحظ أنّ ابن المعتز لم يعرّف الاستعارة تعريفاً يميزها عن المجاز بشتى أنواعه، وإنما كان ذلك منه لطبيعة منهجه الأدبي التاريخي الذي سعي في صوغه إلى البرهان على أن فنون البديع لم يبتدعها الشعراء المحدثون ، من أمثال بشار ومسلم وأبي نواس ، ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم ، بل جرت به أفانين اللغة العربية منذ سالفات عهودها[5].

---

(1) في علم البيان – د. عبد الرزاق أبو زيد ، مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1978 ، ص102 .
(2) قواعد الشعر – أبو العباس ثعلب ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1948م ، ص47 .
(3) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ، تحقيق: السيد أحمد الصقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط3، 1981م ، ص135 .
(4) البديع ، ابن المعتز ، تحقيق : اغناطيوس كراتشوفسكي ، لندن ، 1935م ، ص2 .
(5) انظر البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، حسن البصير، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية ، بغداد ، 1972م ، ص244 .

أما قدامة بن جعفر (ت 337هـ) ، فإنه لم يفرد للاستعارة باباً منفصلاً كغيرها من الفنون البلاغية التي تناولها في كتابه " نقد الشعر" ، ولم يضع لها تعريفاً واضحاً، بل تكلم عنها ضمن حديثه عن عيوب اللفظ أو ما أسماه بالمعاظلة ، وهو مداخلة الشيء بالشيء(1).

وتوالى بعد ذلك العلماء والنقاد يبحثون الاستعارة فيما يبحثون في فنون البيان ، حتى أصبحت باباً يمكن أن يعد من أهم أبواب علم البيان ، وأخذت موضعها بين موضوعاته، وكثر الكلام في تعريفها وأقسامها .

وأخذ البحث في الاستعارة يزداد عمقاً وتتضح معالم الاستعارة الفنية، وانصب البحث في تحديد خصائص الاستعارة ومكوناتها الأساسية، ونرى ذلك واضحاً عند القاضي الجرجاني (ت 392هـ) حين قال : " الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد منافرة بينهما ولا يتبيّن في أحدهما إعراض عن الآخر "(2).

وبحث الرماني (ت 386هـ) في الاستعارة وفرق بينها وبين التشبيه فالاستعارة في نظره هي جمع بين شيئين بمعنى مشترك تتميز عن التشبيه بنقل الكلمة في الاستعارة وأداة الشبه في التشبيه، ويعرف الرماني الاستعارة بقوله: " تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة "(3).

وتابع أبو هلال العسكري (ت 395هـ) البحث في الاستعارة ، فأراد تعريف الاستعارة والنظر في وظيفتها داخل النص الأدبي ، فذهب إلى أن " الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إمَّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه ، وهذه الأوصاف موجودة

---

(1) انظر البديع في نقذ الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : د. أحمد أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد ، مراجعة : د. إبراهيم مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1960 ، ص201 – 202 .

(2) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ص41 .

(3) النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، تحقيق : د. محمد خلف الله ، و د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، 1976 ، ص85 .

في الاستعارة المصيبة ، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً"[1].

ونرى العسكري قد تأثر بابن المعتز في تعريف الاستعارة ، وزاد عليه تبيين أغراضها التي يتوخاها المستعير ، وبين فضلها على الحقيقة ، وإذا كان ابن المعتز قد جعلها أول فنون البديع الخمسة الأساسية التي عليها النظر الأكبر في كتابه ، فقد جعلها أبو هلال العسكري أول فنون البديع عنده[2].

وتحدث ابن رشيق القيرواني(ت 356هـ) عن الاستعارة دون أن يضع لها حدّاً واضحاً ، يميزها عن بقية الفنون البلاغية ، فهو يعدّها أفضل من المجاز وحلية من حليّ الشعر، ونراه يتكلم عن منزلة الاستعارة ، فيقول : " الاستعارة أفضل من المجاز وأول أبواب البديع، وليست في حليّ الشعر أعجب منها ، وهي من محاسن الكلام ، إذا وقعت موقعها، ونزلت منزلها "[3] ، كما تحدث أيضاً عن وظيفة الاستعارة وحدودها وعيوبها[4]، ونراه في حديثه الأول عن الاستعارة ، وجعلها أول أبواب البديع قد تأثر بابن المعتز وبأبي هلال العسكري .

وتابع ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) الحديث عن الاستعارة فتكلم عنها ضمن مفهوم فصاحة التركيب ، ولم يضع تعريفاً واضحاً لها، بل جاء بتعريف الرماني دون إضافة[5] .

أمّا ابن أبي الإصبع المصري ، فذكر تعريفات الذين سبقوه ، ويشير إلى الاستعارة بقوله : " هي تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح للمبالغة في التشبيه "[6]. وهو بتعريفه هذا لا يضيف شيئاً سوى ربط الاستعارة بالتشبيه للمبالغة .

(1) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1986م ، ص268 .
(2) انظر في علم البيان ، د. عبد الرزاق أبو زيد زايد ، ص103 .
(3) العمدة ، ابن رشيق القيرواني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت / ط4 ، 1972م ، ج 1، ص268.
(4) العمدة، 1: 270 .
(5) ينظر سر الفصاحة ، أبن سنان الخفاجي ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد صالح وأولاده ، الأزهر ، القاهرة ، 1969م ، ص108.
(6) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق : حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1963م ، ص97 .

وجاء بعد ذلك عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ) واتضح عنده مفهوم الاستعارة ؛ إذ عرفها بقوله : " الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، وتظهره ، وتجيء إلى اسم المشبه به ، فتعيره المشبه وتجريه عليه "(1).

وعرفها أيضاً في أسرار البلاغة فقال : " هي أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختصّ به حين وُضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير ذلك الأصل وينقله إليه غير لازم فيكون هناك كالعارية "(2).

وقد تكلم عبد القاهر في كتابيه كلاماً وافياً عن الاستعارة ؛ إذ أوضح معالمها ، ومن ثمَّ فقد نضجت عنده مفاهيم الاستعارة بصورة لم تكن عند أحدٍ من سابقيه ، وربما لاحقيه .

وتابع أسامة بن منقذ (ت584هـ) الحديث عن الاستعارة وعرفها بقوله : " اعلم أنّ الاستعارة هو أن يستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول "(3)، ومن خلال هذا التعريف نرى أنّ أسامة قد أدخل الاستعارة ضمن فنون البديع حين عدّها فنّاً بديعياً.

وجاء السكاكي (ت 626هـ) وحدّد مفهوم الاستعارة بقوله: " الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبّه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"(4).

ووضع ابن الأثير (ت 637 هـ) حدَّ الاستعارة حين قال : " حدّ الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما، مع طي ذكر المنقول إليه ؛ لأنه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة ، وكان حدّاً لها دون التشبيه ، وطريقه أنك تريد تشبيه الشيء مظهراً ومضمراً ، وتجيء إلى المشبه فتعيره اسم المشبه به، وتجربه عليه "(5).

(1) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص67 .
(2) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : هـ . ريتر ، مطبعة وزارة المعارف ، استنبول ، 1954م ، ج 1 ، ص123.
(3) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، ص41 .
(4) مفتاح العلوم، السكاكي ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ، 1317هـ ، ص196.
(5) المثل السائر، ابن الأثير ، تحقيق : د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، 1962 ، ج 2 ، ص83.

وواصل القزويني (ت 739هـ) الحديث عن الاستعارة وعرّفها بقوله : " هي ما كانت علاقته تشبه معناه بما وضع لـه "[1] ، والقزويني لم يبتعد كثيراً عن تعريف السكاكي ، كما أنه قسم الاستعارة إلى أقسام كثيرة[2].

أما العلوي (ت 749هـ) فاختار تعريفاً، يراه الأمثل بين التعريفات التي ذكرها ، فيرى في هذا التعريف " وهو المختار، أن يقال تصييرُك الشيء للشيء وليس به، وجعلك الشيء للشيء وليس لـه بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكماً"[3].

وممّا تقدّم تتجلى لنا الحقائق التالية :

الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائماً بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي[4] ، ومن التداخل بين الفنون ، التداخل بين المجاز والاستعارة لكون المجاز أعم من الاستعارة ، وكون الاستعارة جزءاً منه[5].

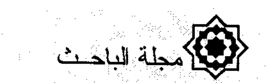
الاستعارة في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه ، والعلاقة عند عبد القاهر تقوم على التشبيه كما في قوله : " أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل ، والتشبيه قياس ، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول ، وتستفتي فيه الأذهان لا الأسماع والآذان " [6].

تطلق الاستعارة على استعمال المشبه به في المشبه ، فيسمى المشبه به مستعاراً منه والمشبه مستعاراً له، واللفظ مستعاراً [7].

وقد بحث البلاغيون العلاقة بين التشبيه والاستعارة بتفصيل ، ووصلوا في بحوثهم إلى حدّ الإيغال، وبهذا أرادوا التوصل إلى الخيط الفاصل بين الاثنين ، على أن الذي يجلي الأمر في مثل هذه الحالة هو التطبيق ، وتساوق المعنى في بناء العبارة الأدبية ، فما صرح به الشاعر بالأداة فهو تشبيه لا محالة ، وما أبعد الأمر

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، تحقيق : لجنة من أساتذة الأزهر ، القاهرة ، ص278.
(2) انظر الإيضاح ، 279 وما بعدها .
(3) الطراز، ج1 ، ص202 .
(4) انظر علم البيان – عبد العزيز عتيق – ص174.
(5) انظر أسرار البلاغة – ص28 .
(6) أسرار البلاغة – ص112.
(7) انظر علم البيان – عبد العزيز عتيق – ص174.



في رؤياه إذا انتقل المعنى من حالة معنويّة إلى حالة حسيّة ، وخفي المدلول التشبيهي ،ومن ثمَّ يبرز لنا إيحاء المعنى الدلالي للألفاظ ونستطيع بإدراك الصورة أن نحدد أبعاد الاستعارة[1].

ونستطيع أن نقول من هذا كله إن الاستعارة ضرب من المجاز كما عدّها البلاغيون، وعلاقتها مع التشبيه [2] علاقة العام بالخاص أو العكس ، فالاستعارة من أساليب العرب القديمة تقف مع التشبيه في التصوير[3] ، وقد تؤدي الاستعارة أكثر مما يؤديه التشبيه من تشكيل الصورة ؛ لأنها"أكثر قدرة على تخطي الواقع ورسم صور جديدة بما فيه من ادعاء وتخييل"[4] وتظل الاستعارة مبدأ جوهرياً ، وبرهاناً على نبوغ الشاعر[5] ؛لأنها " أكثر عمقاً في الشعر حين تلتئم الفكرة أو العاطفة مع الصورة الحسية"[6].

مفهومها عند المحدثين :

يتطرق الدكتور مصطفى ناصف إلى وظيفة الاستعارة داخل النظام الكلامي، ويرى أنها ليست زينة وإنما هي جزء أساسي من نظرية المعنى[7]، كما يلاحظ أن التعبير الاستعاري يستعمل بدلاً من تعبير حرفي معادل له ، ويسمي هذا- نظرية الاستبدال في الاستعارة - وفقاً لرأي ماكس بلاك ، ويعني هذا أن المعنى الذي عبرت عنه الاستعارة يمكن أن يُعبرّ عنه بكلام آخر حرفي ، ولكن الغرض من

---

(1) انظر " الاستعارة في البحث البلاغي- المفهوم الوصفي الاصطلاحي" د. عبد الرحمن شهاب ، مقال منشور في مجلة كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية ع5، 1980م – ص207 .
(2) انظر دليل الدراسات الأسلوبية ، جوزيف ميشال شريم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ،1984م ، ص70-72 .
(3) انظر البلاغة العربية، المعاني البديع البيان" / أحمد مطلوب ، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية ، بغداد ، 1980م ، ص221.
(4) الصورة في شعر الأخطل الصغير ، د. أحمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمّان ، 1985م ، ص 50.
(5) الصورة الأدبية ، د. مصطفى ناصف ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ط1 ، 1958م، ص146.
(6) مبادئ النقد الأدبي، ريتشاردز، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، مراجعة : لويس عوض ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، 1963م ، ص173.
(7) انظر نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف ، مطابع دار القلم، القاهرة، 1965م، ص84، وينظر المنزلات ، د. طراد الكبيسي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1992م ، ج1 ، ص87 .

التعبير الاستعاري هو غرض أسلوبي ، والتعبير الاستعاري يمكن أن يشير إلى شيء مجسّم لا يوجد في التعبير الحرفي[1]؛ إذ إنّ العلاقة بين طرفي الاستعارة هي علاقة انصهار واتحاد ، إذ يتحول المستعار له إلى كائن حي يحمل كل صفاته وخصائصه وملامحه[2].

والاستعارة فن قولي ، قد يجمع بين المتخالفين ، ويوفق بين الأضداد ، ويكشف عن إيحائية جديدة في التعبير ، لا يحس بها السامع في الاستعمال الحقيقي ، وهي من أبرز أساليب البيان العربي [3].

وهناك خصائص فنية نلمسها في الاستعارة ، نجملها فيما يأتي[4]:

- إن الاستعارة تنتقل بالنص من الجمود اللفظي المحدد له إلى السيرورة في التعبير.
- يتجلى في الاستعارة إعطاء صفة الفعل لمن لا يفعل .
- تمثل الاستعارة تهويل الأمر ودقة المبالغة وشدة الوقع وهي بعيدة عن الكذب.
- يلاحظ في الاستعارة التقريب الوصفي ، ومراعاة المناسبة ، ولمح الصلة بين الأصل والنقل الاستعاري .

وقد جمع كثيرٌ من الدارسين بين الاستعارة والصورة ، وأرجعوا الصورة إلى الاستعارة ، وهذا الرأي مرفوض ؛ لأن فيه إهمال باقي المحسنات البيانية ، كما أن في هذه المحسنات قيمة أسلوبية لا يمكن التغاضي عنها [5].

كما بحث الأصوليون في الاستعارة من جهة الاتصال ، ويعنون به الاتصال بين شيئين ، ويكون هذا الاتصال إمّا باعتبار الصورة ، وإمّا باعتبار المعنى ، ومثال التصوير المعنوي تسمية الشجاع أسداً ، ومثال التصوير الصوري تسمية المطر سماءً[6].

---

(1) المصدر السابق ، ص84- 85.
(2) الصورة البيانية في شعر عمر أبي ريشة ، وجدان عبد الإله الصائغ ، جامعة الموصل ، 1992م ، ص187 .
(3) أصول البيان العربي ، رؤية بلاغية معاصرة ، د. محمد حسين علي البصير ، سلسلة دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986م ، ص93 .
(4) انظر المصدر السابق ، ص94 – 95 .
(5) انظر دليل الدراسات الأسلوبية ، جوزيف ميشال شريم ، ص70 .
(6) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، علي زوين ، سلسلة وزارة الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986م ، ص135.

وربما تكون الاستعارة هي التصوير الداخلي للصورة ، فكثير من الاستعارات تصنع شيئاً حسياً محدداً محل شيء آخر مثله ، في مجال الألوان خاصة ، فعندما نجد صوراً مثل : الشعر الأزرق ، والسماء الخضراء ، ندرك أنها بدائل حسية عن عناصر حسية أخرى[1].

فإذا كانت القصيدة استعارة كبرى ، وإذا كانت صورها وأدواتها الشعرية تعتمد على تغيير المعنى ، وتصحيح الانحراف المقصود ، فما هي وظيفة كل ذلك؟ لماذا تقوم بتغيير المعنى ولا تسمي الأشياء بأسمائها؟ لماذا يتحدث الشاعر عن " المنجل الذهبي" الذي يحصد النجوم ويقصد القمر؟[2].

ولا نشك في أن دراسة العرب القدماء للصورة الشعرية ، وهي تعني عندهم وفي مقدمتهم عبدالقاهر الجرجاني ، التشبيه ، والاستعارة والكناية ، وجدير بالذكر أن الاستعارة أخذت الصدارة ،.. ولا عجب في ذلك فهي أقرب أدوات الصورة إلى الجوهر - جوهر الشعر - أو هي الشعر نفسه[3].

إذن فقد أخذت الاستعارة جانب الصدارة في الصورة الشعرية من وجهة نظر القدماء من العرب ؛ لأنهم يعدونها جوهر الشعر ، كما نُعِتَ بعض الشعراء بأنهم شعراء الاستعارة ، ولا تختلف الدراسات الحديثة عما جاء به القدماء من جعل الاستعارة كالصورة ، ونلاحظ هنا(جون مدلتون مري) أنه يعطي فضل التقدم للاستعارة في هذا المجال ، فيقول : " إنّ الاستعارة أقرب إلى جوهر الاستعمال الشعري ، وإن التشبيه أقرب إلى الاستعمال النثري ، ذلك أنّ التشبيه يعطي فرصته للتفكير ، على حين أن الاستعارة توهج العاطفة وهي في الشعر وسيلة لاستثارة إحساس غامض متوتر بخصائص خير ما يمكن أن نصفها به أنها روحية"[4].

ونرى تعريف الشاعر الفرنسي (بول ريفردي) للصورة لا يتعدى أن يكون الاستعارة نفسها ؛ حيث يقول في تعريف الصورة : " إنّها إبداع ذهني صرف ،

---

(1) نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية ، القاهرة ، ط2 ، 1987 م ، ص359.

(2) المصدر السابق ، ص359-370.

(3) ينظر فن الاستعارة ، أحمد عبد السيد الصاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1979م ، ص255.

(4) الاستعارة ، جون مدلتون مري ، ترجمة عبد الوهاب المسيري ، مجلة المجلة ، ص43 (سنة 71)، نقلاً عن كتاب فن الاستعارة ، السيد الصاوي ، ص257 .

وهي لا يمكن أن تنبثق من المقارنة ، وإنما تنبثق من الجمع بين حقيقتين واقعتين ، تتفاوتان في البعد قلة وكثرة"[1].

فقد طال الحديث عن الفرق بين الصورة والاستعارة والتشبيه بينهما أو الربط بينهما ، وهذا ما وجدناه في الدراسات الغربية والدراسات العربية الحديثة. فمن بين الدارسين الدكتور عز الدين إسماعيل ، والدكتور محمد زكي العشماوي ، والدكتور إحسان عباس والدكتور نصرت صالح ، وأحمد الشايب وغيرهم كثيرون.

ومهما يكن من اختلافات فإن الاستعارة دخلت في الإطار العام لكلمة الصورة، واعتبرت أداة من أدوات بنائها ، وهي إلى جانب ذلك مرافقة للصورة الشعرية في كثير من الأحيان – ذلك ما اتضح عند النقاد عرباً كانوا أم غربيين[2].

فالصورة إذن هي العنصر الجوهري في لغة الشعر[3]، كما أنها تعبير داخلي، يستطيع المتخصص إدراكه من خلال الشواهد المرسومة داخل هذه اللغة ، سواء أكانت هذه الشواهد سمعية أم بصرية ، أو باقي الشواهد الحسية ، وهذا ما يميل إليه النقاد السيميولوجيون[4].

وكان للدراسات الغربية دور فعَّال في بيان مفهوم الاستعارة بوجهة تكاد تختلف عما هي عليه بالمفهوم القديم، وقد تناول ريتشاردز مفهوم الاستعارة حيث، قال : " الاستعارة نوعان ، الاستعارة النثرية العادية التي تدخل ضمن نطاق الكلام العادي أو النثر العلمي ، والنوع الثاني هو الاستعارة الأدبية ، التي هي " وسيلة شبه خفية يدخل بواسطتها في نسيج التجربة عدد كبير من العناصر المتنوعة"[5] ، والاستعارة أيضاً هي " شيء خاص واستثنائي في الاستعمال اللغوي ، إنها انحراف عن النمط الاعتيادي للاستعمال بدلاً أن تكون المبدأ الحاضر أبداً في نشاط اللغة الحر "[6].

---

(1) الشعر العربي المعاصر ، عز الدين إسماعيل ، نقلاً عن فن الاستعارة ، السيد الصاوي ص258.
(2) فن الاستعارة ، ص272 .
(3) ينظر نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د/ صلاح فضل ، ص467 .
(4) ينظر المصدر السابق ، ص445 ، وما بعدها.
(5) مبادئ النقد الأدبي، ريتشاردز ، ص310 .
(6) فن الاستعارة، ريتشاردز، ص 270.

وتابع كوهن البحث في الاستعارة ضمن نظرية تسمى نظرية الانزياح ، فالشعر عنده انزياح عن معيار قانون اللغة ، كما أن الاستعارة عنده " ليست مجرد تغير في المعنى ، إنها تغير في طبيعة أو نمط المعنى ، انتقال من المفهوم إلى المعنى الانفعالي"[(1)].

وهذا يعني أن اللغة قد اكتسبت من الاستعارة توسيعاً ، ذلك من خلال المعنى الإيحائي المراد من الاستعارة ، وهذا التوسيع يكسب اللغة عمقاً داخلياً ويضيف إليها معانٍ جديدة .

وانطلق جاكوبسن في بحثه عن الاستعارة والكناية من دراسات دي سوسير للغة ، فالاستعارة عنده تقوم على مبدأ الاختيار والانتقاء ، أي إحلال كلمة محل أخرى ، تؤدي نفس المعنى ، واستناداً إلى مفاهيم دي سوسير ، تكون الاستعارة عموماً ترابطية في ميزتها ، وتستثمر العلاقات العمودية للغة ، في حين أنَّ الكناية امتدادية أو تتابعية عموماً بطبيعتها ، وتستثمر العلاقات الأفقية للغة[(2)] ، وينبع مفهوم جاكوبس من نظرة دي سوسير للغة في المجالين التتابعي والترابطي في الأداء اللغوي ، فهو بدراسته للذين يعانون من اضطرابات نفسية والتي تسمى الحبسة ، اكتشف أنَّ الذين يعانون من اضطرابات في النطق يميلون إلى استخدام إحدى الصورتين ؛ تعويضاً عن النقص الحاصل في نطق بعض المفردات ، كما سجل ملاحظته أن العوقين الرئيسين المتضادين ثنائياً، هما (عوق التشابه وعوق التماس). وتثير دراسته للحبسة زعماً مهماً فحواه أنَّ الجوانب اللغوية التتابعية أو التجميعية فقط هي التي يحتفظ بها المصاب الذي يعاني من خلل التشابه ، وأنَّ هذا الخلل يؤدي إلى عجز التعامل بالعلاقات الترابطية كالتسمية واستعمال المترادفات والتعاريف- أي المادة الخام للاستعارة- على كل حال ، فمثل هؤلاء يستخدمون الكناية بكثرة ، فهم قد يستبدلون بالسكين الشوكة وبالنار الدخان ، وفي الوقت نفسه تبرز عند المصاب الذي يعاني من خلل التماس الحالة المعاكسة.... وبهذا يبدو أن الاستعارة غريبة عن خلل التشابه وأن الكناية غريبة عن خلل التماس ، ونتيجة لذلك يصبح ممكناً أن نقترح إن اللغة الإنسانية توجد في الواقع ضمن البعدين الجوهريين اللذين اقترحهما دي سوسير ، وإن هذين البعدين يتبلوران في شكل

---

(1) بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة : محمد الولي ، ومحمد العمري ، نشر دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1986م ، ص205 .

(2) البنيوية وعلم الإشارة ، تونس هو كز ، ترجمة : مجيد الماشطة ، مراجعة : ناصر حلاوي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986م ، ص71.

وسائل بلاغية يعتمد عليها الشعر بشكل متميز بارز، وقد يمكن تمثيل المحورين كما يلي[1]:

البعد التزامني الانتقالي الترابطي
(الاستعارة)

البعد الامتدادي التجميعي / التعاقبي
(الكناية)

ويعرض جاكوبسن الاقتراح الأكثر تدقيقاً القائل بأنّ الصيغة الاستعارية تميل إلى أن تبرز في الشعر، في حين تمثل صيغة الكناية إلى البروز في النثر، فيشكل مبدأ التشابه قاعدة للشعر، يثير التوازي الإيقاعي للأبيات والتكافؤ الصوتي للكلمات المقفاة قضية التشابه الدلالي والتباين... أما النثر فهو بخلاف ذلك يتعزز بمبدأ التماس ، وهكذا فالاستعارة للشعر والكناية للنثر تشكلان خط المقاومة الأضعف[2].

(1) ينظر المصدر السابق، ص70 وما بعدها.
(2) البنيوية وعلم الإشارة ، ترنس وكز، ص74 .

الخاتمة

يتّضح لنا مما سبق أنّ مفهوم الاستعارة الاصطلاحي قد تطور تطوراً واضحا وجلياً من الناحية الدلالية ، أما من الناحية اللغوية ، فلا نراه قد تغير ، وهكذا فالاستعارة قد مرت بدورة تكاد تكون شبه دائرية ، قامت على مبدأ التشبيه ، وانتهت إلى مبادئ متنوعة قائمة على الإنزياح كما عند كوهن ، وقد تقوم على مبدأ الاختيار والانتقاء ، كما عند جاكوبسن أو طريقة المحورين ، وبهذا فإن الدراسات الحديثة أعطت فن الاستعارة جمالاً وحيوية ، وأولتها مساحة كبيرة ، ليؤكّد ذلك ما للاستعارة من أهميّة كبيرة ، ودور بارز في عملية التصوير ، وذلك ليس ببعيد عن ذات الأهمية التي أولاها البلاغيون العرب قدامى ومحدثون للاستعارة ؛ تقديراً لقيمتها الفنيّة ، وآدائها اللامحدود في جانب التصوير الأدبي .

المصادر والمراجع

1- الاستعارة في البحث البلاغي " المفهوم الوصفي ولاصطلاحي " – عبد الرحمن شهاب، مقال في مجلة كلية آداب المستنصرية – العدد الخامس – لسنة 1980م.
2- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق :هـ - ريتر ،مطبعة وزارة المعارف – استنبول –1954م.
3- أصول البيان العربي – محمد حسين علي الصغير –سلسلة دار الشؤون الثقافية " رؤية بلاغية معاصرة " بغداد – 1986م.
4- الإيضاح في علوم البلاغة - القزويني - تحقيق لجنة من أساتذة الأزهر – القاهرة
5- البديع –ابن المعتز /اغناطيوس كراتشقو فسكي – لندن 1935م.
6- البديع في نقد الشعر – أسامة بن منقذ ،تحقيق :د.أحمد أحمد بدوي ، ود . حامد عبد المجيد ، مراجعة د.إبراهيم مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة –1960م.
7- البلاغة والتطبيق – تأليف أحمد مطلوب ، و د.حسن البصير ، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية ، بغداد- 1982م.
8- البلاغة العربية (المعاني –البديع –البيان) تأليف د. أحمد مطلوب ، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقي - بغداد - 1980م .
9- بنية اللغة الشعرية - جان كوهن - ترجمة محمد الولي ، ومحمد العمري ، نشر دار توبقال - الدار البيضاء - 1986م.
10- البنيوية وعلم الإشارة - ترنز هوكز ، ترجمة - مجيد الماشطة ، مراجعة - ناصر حلاوي ، دار الشؤون الثقافية - بغداد - 1986م .
11- البيان والتبيين - الجاحظ - تحقيق ، عبد السلام هارون - ط 5 - نشر مكتبة الخانجي - القاهرة - 1985م.
12- تأويل مشكلة القرآن - ابن قتيبة - تحقيق : السيد أحمد الصقر ، ط 3 - المكتبة العلمية - بيروت - 1981م.
13- تحرير التحبير - ابن أبي الإصبع المصري - تحقيق : حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة - 1963م.
14- دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي - القاهرة .
15- دليل الدراسات الأسلوبية - جوزيف ميشال شريم ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - 1984م.
16- سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجي ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد صالح وأولاده - الأزهر - القاهرة - 1969م.

17- الصناعتين - أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي - وأبي الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - بيروت - 1986م.
18- الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف - دار قصر للطباعة - ط 1 - القاهرة - 1958م .
19- الصورة البيانية في شعر عمر أبي ريشة - وجدان عبد الإله الصائغ - جامعة الموصل 1992م .
20- الصورة في شعر الأخطل الصغير - د . أحمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان - 1985م .
21- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي - مطبعة المقتطف - القاهرة - 1914م .
22- علم البيان - عبد العزيز عتيق - دار النهضة للنشر - بيروت .
23- علم البيان ، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية - بدوي طبانة - ط 4 - مكتبة الأنجلو المصرية .
24- العمدة - ابن رشيق القيرواني - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - ط 4 - دار الجيل للنشر والتوزيع - بيروت - 1972م .
25- فن الاستعارة - د . أحمد عبد السيد الصاوي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الاسكندرية - 1979م .
26- في الاستعارة - مقال منشور في مجلة كلية الآداب - جامعة البصرة - ترجمة ناصر حلاوي - عدد (9) سنة (1974م) .
27- في علم البيان - عبد الرزاق أبو زيد زايد - مطبعة الأنجلو المصرية - القاهرة - 1978م .
28- قواعد الشعر - أبو العباس ثعلب - تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - 1948م .
29- مبادئ النقد الدبي - ترجمة د . عبد الرحمن البدوي - مراجعة لويس عوض - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - القاهرة - 1963م .
30- المثل السائر - ابن الأثير - تحقيق : د . أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر - القاهرة - 1962م .
31- مفتاح العلوم - السكاكي - المطبعة الأدبية - القاهرة - 1317 هـ .
32- المنزلات - طراد الكبيسي - دار الشؤون الثقافية - 1992م .
33- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث - علي زوين - سلسلة وزارة الشؤون الثقافية - بغداد - 1986م .
34- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د . صلاح فضل - ط 2 - دار الشؤون الثقافية - 1987م .

35- نظرية المعنى في النقد العربي - مصطفى ناصف - مطابع دار التعلم - القاهرة - 1985م .
36- النكت في إعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - أبو الحسن علي بن عيسى الرماني - تحقيق : د . محمد خلف الله ، و د . محمد زغلول سلام - دار المعارف القاهرة - 1976م .
37- الوساطة بين المتنبي وخصومه - القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي - منشورات المكتبة العصرية - بيروت .